

مفاهيم القرآن

(213) والحادثة عند اختيار النوّاب أو الحكّام، فلو توفر مثل هذا الشرط كان الانتخاب انتخاباً صحيحاً، ومفيداً. ولكنّ المشكلة هي أنّ الأكثرية الساحقة والتي هي الملاك في النظام الديمقراطيّ تفقد مثل هذه البصيرة والوعي والرشد الفكريّ، فإنّ الوعي والتفكير يختصان بطبقة خاصّة دون جمهرة الناس وسوادهم، فهي وحدها تفعل على بصيرة وبوعي، وأمّا الأكثرية الساحقة؛ فتتّبع في فعلها وتركها الأهواء الشخصية والتوجيهات التي يقوم بها اللاعبون خلف الستار من السياسيين ومحترفي السياسة. فهل يمكن أن ننسى ما يعمل المرشّحون للنيابة أو الرئاسة لكسب هذه الأكثرية من التوسل بجميع الوسائل الإغرائيّة، والأجهزة الدعاويّة والإعلاميّة؟ فهم يستخدمون كل وسيلة رخيصة حتّى الفتيات والراقصات والأفلام الخليعة وإعطاء الوعود الخلاّبة، لاكتساب المزيد من أصوات الناس، إذ بهذه الأمور يمكن الاستحواذ على عواطف أكثرية الجماهير، واستمالتهم، تلك الأكثرية التي تتألّف - في الأغلب - من السذّج، والبسطاء وغير المثقفين، فكيف يمكن أن تكون هذه الأكثرية ملاكاً لصحّة الانتخاب ومشروعيّته؟ ثالثاً: إنّ تغليب الأكثرية ولو بصوت واحد لا يكون (عدلاً) مضافاً إلى أنّه لا يجعل ما اختارته الأكثرية (حقاً) لا نقاش فيه. وإنّما لا يكون عدلاً، لأنّ تغليب هذه الأكثرية - حتّى لو حصلت بأسلوب صحيح بعيد عن المؤثّرات والإغراءات والاحتيالات - تجاهل لحقّ ما يقارب نصف المجتمع ومصالحه وإجفاف بحقّهم. وهو إجفاف أدركه الغرب نفسه وتفتّطن له كبار مفكّريه، وحقوقيّيه، واجتماعيّيه، ولكنّه لم يجد مفرّاً منه لأنّه لا يعرف نهجاً بديلاً عنه، ولأجل ذلك لا يكون حقاً أيضاً. هذه بعض معاييب الديمقراطية وانتخاب الشعب لحكّامه ونوّابه على النهج الشائع في الأنظمة الديمقراطيّة. وهو قليل من كثير.